الإعجاز العلمي وأهمية توظيفه في الخطاب الدعوي المعاصر
-دراسة على عينة من الآيات القرآنية-

The scientific and linguistic miracles and its role in vocation sermon

مطاري سارة[1]
كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر-1
s.matari@univ-alger.dz

تاريخ الوصول 2021/06/25 القبول 2021/08/30 النشر على الخط 2022/01/15
Received 25/06/2021 Accepted 30/08/2021 Published online 15/01/2022

ملخص:

يبيّن هذا البحث أهمية الإعجاز في تجديد الخطاب، وذلك باعتباره قضية من قضايا العصر المستجدة، تعطي الدليل الساطع والبرهان القاطع على إعجاز كلام الله تعالى، وصدق نبوة نبيّه -صلّى الله عليه وسلّم-، وكذا الحرص على هداية البشر بما تشتمل عليه هذه الرسالة من مناهج تقود إلى تهذيب النفس وغرائزها وشهواتها، في ضوء عقيدة صحيحة تتفق مع مطالب العقول، وحاجات القلوب لتوجد الإنسان الصالح، لا سيما الغربيين الذين لا يعترفون إلاّ بلغة الأرقام والحقائق الملموسة، ممّا يجعله مناسبا لإقناعهم، وجعله وسيلة فعالة في الدعوة الإسلامية تتماشى مع واقع العصر.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز العلمي، أهمية توظيفه، الخطاب الدعوي، الحقائق العلمية.

abstract

The scientific and linguistic miracles and its role in vocation sermon.

This research deals with the importance of the scient ific and linguistic inimitability and marvel of the vocation sermon, thus the contemporary importance resicles on the fact that both the holy qoran and the noble prophecy of the prophet Mohamed (swt) ave genuin and true, therefore, the message of the prophet and his correct correct creed have to be a clear path for humanity to control rationally their instinct and lust, mainly the occiationtals whose beliefs and thoughts are more concrete and pragmatic .hence, these rationality and concreteness might be used a mean to convince the on modern bases .

Key words: linguistic miracles, scientific the vocation sermon, the scientific truth.

[1] - المؤلف المراسل: مطاري سارة البريد الإلكتروني: **s.matari@univ-alger.dz**

1. مقدمة:

لقد جاء القرآن الكريم هداية للناس أجمعين، على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومستويات تفكيرهم، ولما كان موجّها لهم جميعًا؛ تعدّدت أساليب خطابه، فمن مخاطبة للفطرة التي تمس جوهر الإنسان وحقيقته، إلى مخاطبة العقل، وقد وصفهم بأولى الألباب وأولى النهى.

إشكالية البحث:

ما ماهية هذا اللون من الإعجاز القرآني، وما مكانته؟ وإلى أي مدى يمكن استثماره في خدمة الدعوة الاسلامية في عصر التقدم؟

أهداف البحث:

- بيان كيفية تأثير القرآن الكريم في قلوب غير المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام طوعا ومحبة له مع تقديم الأدلة والبراهين على ذلك.
- اختيار نماذج لآيات قرآنية، ووضعها تحت مجهر البحث، من أجل معرفة مدى تأثيرها من جهة الحقائق العلمية التي تتضمنها.

وقد قسمنا البحث إلى قسمين، قسم تكلّمنا فيه عن مفردات المقال ومعانيها، وقسم خصصناه لإبراز الإعجاز في الآيات المختارة، منطلقين من الإعجاز اللغوي بغية الوصول إلى الإعجاز العلمي، كما اخترت بعض الآيات ووضعتها تحت مجهر البحث لمعرفة مدى تأثيرها.

وقد استعملت في ذلك المنهج الوصفي والتحليلي على وفق ما هو معمول به في هذه الأبحاث.

2. بيان معاني مفردات البحث:

قبل الولوج في بيان وجوه ودلائل الإعجاز العلمي واللغوي في الدعوة الإسلامية، لا بدّ من معرفة ماذا يعني كل منهما، وإن كانت هذه الأمور ممّا سبق دراسته، لكن يبقى الوقوف عليها خطوة أولى لا بدّ منها لتقديم المقال.

2. 1. الإعجاز:

«الإعجاز» في اللغة: مصدر لفعل أَعْجَزَ، واسم فاعله: مُعْجِزَة، والتاء للمبالغة، ويدور معنى هذه المادة (ع.ج.ز) حول الضعف وعدم القدرة، قال ابن فارس: «العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخّر الشيء. فالأول عجِز عن الشيء يعجِز عجزًا، فهو عاجز، أي ضعيف. وقولهم: إنّ العجز نقيض الحزم فمن هذا، لأنه يضعُفُ رأيُه ... وأمّا الأصل الآخر؛ فالعجز: مؤخَّر الشيء، والجمع أعجاز، حتى إنهم يقولون: عَجُزُ الأمر، وأعجاز الأمور. ويقولون: لا تدبَّروا أعجاز أمور ولّت صدورها»[1].

أمّا في الاصطلاح، فقد جاء في التعريفات للجرجاني: «الإعجاز في الكلام هو أن يؤدّي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق»[2].

(1) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1979م، ج4، ص232-233.

(2) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ضبطه محمد عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب، القاهرة، 1411هـ، ص47.

والإعجاز موضوع البحث، هو إعجاز القرآن، وفي تعريفه يقول فضل حسن عبّاس: «فكلمة إعجاز مصدر، وإضافتها للقرآن من إضافة المصدر، فكأنّ التقدير: أعجز القرآنُ النّاس أن يأتوا بمثله، ومعنى ذلك أنّ هذا القرآن دلّ بما فيه من بيان على أنه من عند الله، وثبت عجز النّاس على أن يأتوا بمثله»[1].

وعلى هذا فالإعجاز القرآني هو: عدم قدرة الخلق جميعًا عن الإتيان بشيء من مثل القرآن، سواءً في صياغته ونظمه، أو فيما اشتمل عليه في مضمونه ومفاده.

2.2 . العلم:

لغة: عرّفه ابن منظور بقوله: «العلم نقيض الجهل، عَلِم عِلْمًا، وعلُم هو نفسه، ورجلٌ عالِمٌ وعليم، من قوم علماء، وعلمت الشيء أعلمه علمًا»[2].

واصطلاحًا عرّفه الكفوي بأنه: «معرفة الشيء على ما هو به»[3].

فالعلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع مع الحكم عليه فهو مجال واسع يشمل العلوم النظرية والعملية.

2. 3. الإعجاز اللغوي:

وهو من أشهر وجوه الإعجاز إطلاقا، وأهمّها باعتبار أنّ معجزة الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– كانت لغوية بيانية، والإعجاز اللغوي هو الوجه الإعجازي الذي يُعنى بالمفردة القرآنية أو الحديثية من جانب الشكل والمضمون والغاية، سواء أكانت هذه المفردة منفردة في التركيب، أي: هو ما تعلّق بلفظ القرآن أو الحديث وبتركيبهما من ظواهر ودلالات لغوية، وهو منطلق وجوه الإعجاز الأخرى وأساسها الذي تبنى عليه، إذْ يُعتبر الإعجاز اللغوي أول لبنة في بناء معرفة دلالات وجوه الإعجاز الأخرى، والعلمي أوّل هذه الوجوه.

2. 4. الإعجاز العلمي:

لقد شاع مصطلح الإعجاز العلمي في عصرنا للدلالة على أوجه إعجاز القرآن والسنة التي كشفت عنها العلوم الكونية التجريبية، وقد عرّفه الزنداني بقوله: «هو إخبار القرآن الكريم والسنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–، وهذا ممّا يظهر صدق الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– فيما أخبر عن ربّه سبحانه»[4].

فالقول بأنّ الحقيقة القرآنية المخبَر عنها في القرآن أو السنة النبوية مثبتةٌ بالعلم التجريبي؛ فيه تأكيد على أسبقية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في تقريرها، وما وصل إليه العلم بالوسائل المتاحة حاليا خير برهان على ما جاءه في كلّ منها.

2. 5. الخطاب الدعوي:

«الدعوة» مصطلحٌ إسلاميٌّ، حيث أنّ هناك صلة بين مدلولها اللغوي والاصطلاحي، فمدلولها اللغوي: «أن تُمِيل الشَّيءَ إليك، بصوتٍ وكلامٍ يكون منك»[5].

---

(1) فضل حسين عباس، إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، عمّان، 1991م، ص28.

(2) اجمال الدّين محمدبن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار المعارف،القاهرة،ط7،ج2، ص279.

(3) أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص610.

(4) عبد المجيد الزنداني، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المكتبة العصرية، صيدا، ص14.

(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص279.

أمّا اصطلاحًا؛ فعُرّفت بتعريفات عديدة، منها:

تعريف الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: «هي الطلب بشدّة وحثّ على الدخول في دين الإسلام اعتقادا، وقولا، وعملا، ظاهرا وباطنا»[1].

وتعريف الشيخ أحمد غلوش بأنها: «العلم الذي به تعرف أسس وتطبيقات كافة جوانب العمليات الفنية المتنوعة التي يقوم بها القادر على تبليغ الإسلام على الوجه المشروع، وتحقيق انتشاره بين الناس، وفق خطة علمية مدروسة »[2].

وغيرها من التعريفات.

ومن هنا؛ تتضح نرى الصلة الوثيقة بين مدلول كلمة «الدعوة» اللغوي وبين مدلولها الاصطلاحي، فنستطيع أن نقول هي: المحاولة القولية أو الفعلية والعملية لإمالة الناس إلى مذهب أو ملة، فهي تبليغ الناس جميعا وهدايتهم إليها قولا وعملا، في كلّ زمان ومكان، بأساليب تتناسب مع المدعوّين على مختلف أصنافهم وعصورهم.

وبناء عليه؛ فالخطاب الدعوي هو: ممارسة الدعوة عن طريق الخطاب، أي الكلام الموجّه إلى المدعوّين، سواء كان شفهياً، أو كتابياً، من خلال الوسائل المعروفة في ذلك، الدروس، والخطب، والمحاضرات، والمناقشات العلمية، والحصص الإعلامية، التلفزيونية والإذاعية، وكتأليف المؤلفات، وكتابة الكتب والمقالات، وغير ذلك.

3. دور الإعجاز العلمي في تجديد الخطاب الدعوي:

المقصود من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أو السنة: تلك الإشارات العلمية التي تحملها الآية أو الحديث، وهذا في حدّ ذاته يوقف الإنسان على عظمة وقدسية مصدرها، فيزداد المؤمن إيمانا، وتأخذ بيد غير المؤمنين إلى الوقوف على تعاليم الإسلام العظيم، وبالتالي تفتح الطريق أمام دراسته، والإيمان به عن اقتناع ويقين، خاصة أنّ هذا العصر الذي نعيشه؛ عصر التقنيات العلمية والثورة العلمية بكلّ معانيها.

إنّه عصر الأنترنت، وبخاصة غير المؤمنين بالإسلام، والذين ينظرون إليه –لعدم وقوفهم على حقائقه الناصعة وهديه القويم في الإصلاح– على أنّه دين يصلح لعصر الإبل، والتحرك بالدواب من الحيوانات، دون الحاجة إليه في عصر الصواريخ والأقمار الصناعية ومركبات الفضاء، وتناسوا أنّ الإنسان هو الإنسان بفطرته وبشهواته وأهوائه وغرائزه وطبائعه، ومن ثم فهو لا يصلحه دائما إلاّ هدي السّماء الصّحيح، هذا فضلاً عن كون الإعجاز العلمي في القرآن والسنة يكشف عن حقيقة هامّة، ألا وهي: أنّ نصوص القرآن والسنة لا يتعارضان مع الحقائق العلمية المجرّدة، إذْ ليس فيهما ما يتناقض ويتضارب مع حقائق العلم ومسلّماته، بل كلّما تقدّم العلم كشف عن المزيد ممّا يحويان من كنوز عظيمة، ودقائق لطيفة، ترسّخ الإيمان في الإنسان، وتدعو إلى اليقين في صحّة هدى الوحي المنزّل على رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، مع الأخذ في الحسبان أنّ كلاًّ من القرآن والسنة النّبوية هدايةٌ وتهذيبٌ للنفوس وإصلاحٌ للمجتمع في المقام الأوّل، ولا ينتظر منهما أن يقدّما التفصيلات العلمية الدقيقة، فذلك متروكٌ لقرائح العلماء وحقول التجارب، والإشارة هنا أقوى من العبارة.

يقول كارم السيد غنيم: «إذا كانت هذه الإشارات العلمية الواردة في القرآن تحتاج إلى الدراسات المتعمّقة، والبحوث الرصّينة، فإنّ الكشف عن جوانب الإعجاز العلمي في هذه الآيات ليس هو الغاية، بل هو وسيلةٌ فعّالةٌ لبلوغ غاية نبيلة، ووسيلة تختلف من

(1) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله، دار القلم، دمشق، ط1، 1996م، ص16.

(2) أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية: أصولها، وسائلها، أساليبها في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص36.

حيث الشكل –لا من حيث المنهج والجوهر– باختلاف فئات النّاس، فإن كانوا من المسلمين؛ كانت الغاية تثبيت العقيدة لديهم، بفيوضات قرآنية لم تكن معلومة لغيرهم من السابقين، وإذ كانوا غير مسلمين فليجرّدوا عقولهم من الزيف، ويخلصوا أنفسهم من الزيغ، –زيف المذاهب وزيغ الأهواء–، ولينظروا فيما احتوته هذه الآيات القرآنية من مسائل كونية وأسرار طبيعية، ليصلوا في النهاية إلى الحقيقة التي حجبها دَخَن ذلك الزيف، وسترها ظلام الزيغ، الحقيقة الأبدية، وهي أنّ القرآن كتابٌ إلهيٌّ أُحكمت آياته»[1].

فالإعجاز العلميُّ مجالٌ خصبٌ، وحقلٌ واسعٌ للداعية، إذا أحسن استغلاله وتوظيفه لإظهار الحق للناس، لا سيما إذا ألَمَّ بالعلوم الكونية، وأدرك فائدتها، وسخّرها للأهداف الدعوية المنشودة.

4. أهمية الإعجاز العلمي في الدعوة الإسلامية:

الدعوة إلى الله تعالى هي الرسالة الخاتمة التي نزلت على النبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– وحْيًا يتجسّد في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، مصداقاً لقوله تعالى: **(قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** (يوسف: 108).

فالدعوة قواعد وأصول ومنهج تسير عليه، فيجب على الدّاعي مراعاة أحوال وظروف من يدعوهم، حيث تختلف وسائل الدعوة باختلاف الناس، لذلك جعل العلماء للدعوة مراتب بحسب مراتب الخلق، ومستويات عقولهم وأفهامهم، وإنّ الداعية إلى الله لا بدّ من تسلّحه بالعدّة والزاد الكافيان، ومن أهمّ جوانبها الثقافة العلمية (الفلكية، الجغرافيا، الطبيعية ... إلخ)، وهذه الأخيرة هي من أهم الأزودة والأسلحة الفعّالة للدعوة الإسلامية في عصر المعرفة والتقدّم العلمي.

وقد تكلّم يوسف القرضاوي في هذا المجال حيث قال: «إنّ الداعية الذي يحسن استخدام حقائق العلم يجد طريقة إلى أذهان الناس وعواطفهم سهلاً معبَّداً، ويقع كلامه من نفس المثقفين العصريين موقع القبول وحسن التأثير»[2].

كما نجد في الآيات الكونية الكثير من إشارات ومعاني الدعوة والإيمان بالحقّ سبحانه وتعالى. فكان من المناسب جدًّا أن يُستثمَر الإعجاز العلميُّ في توجيه قلوب النّاس إلى الإسلام، لا سيّما الغربيين الذين أدهشتهم الحقائق العلمية التي اكتُشِفت حديثًا، وأكّد القرآن الكريم حقيقتَها، إذن فالإعجازُ العلميُّ هو وسيلةٌ دعويةٌ جديدةٌ تدعو إلى التأمّل واستخدام العقل، وتسخيره في فكّ ذذ رموز الكون، وما تشمله من مخلوقات الله، فهو يتوقّف مع أفكار هذا العصر حيث يعطي البرهان تلو البرهان على صدق نبوّة نبيّنا عليه أفضل الصلاة والسّلام.

5. الأسس الواجب مراعاتها عند تناول الإعجاز العلمي:

هناك أسسٌ وضعها المشتغلون من أهل العلم بقضايا الإعجاز العلمي، لتكون بمثابة قواعد يلزم مراعاتها عند خوض هذا الميدان، حفاظاً على قدسية القرآن والسنة النبوية، ومن هذه القواعد:

5. 1. عدم التعسف في التأويل، وعدم الخروج عن مقتضيات اللسان العربي في التفسير.

وذلك أنّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب، ولا يفهم إلاّ وفقاً لما تعارف عليه العرب من وجوه الفهم، قال سبحانه وتعالى: **(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** [يوسف: 2]، وقال عزّ من قائل: **(وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)** [الأنعام: 192-195].

---

(1) كارم السيد غنيم، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق، دار الفكر العربي، 1995م، ط1، ص15.

(2) يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م، ص139.

فنصوص القرآن الكريم وأحاديث الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– يجب أن تبقى في حدود ما تقتضيه الدلالة اللغوية، دون تعسف في تأويلها، وذلك أنّ التعسف في التأويل يخرجها عن قصدها ومدلولها، ولا يجوز ليّ أعناق النصوص لتوافق معطى من المعطيات العلمية، لا سيّما إذا لم تكن تلك المعطيات جازمة، وكانت قابلة للتغير، فيعرّض ذلك نصوص الوحي للتكذيب والاستخفاف.

فإنّ نصوص القرآن والسنة لا يمكن أن تتعارض مع الحقائق العلمية، وحسبنا أنّ أوّل آيةٍ نزلت هي قوله تعالى: (**اقْرَأْ**) [العلق: 1]، وهي تحفّز على تحصيل العلم بكلّ فروعه، ومن ثمّ فلا يعقل أن تشتمل الرسالة الخاتمة على ما يعارض حقائق العلم، وقد ابتدأ هديها بالدعوة إليه، فمهما بلغ بريق بعض المعطيات العلمية وأخذت حظًّا وافراً من النشر والدعاية الإعلامية، فتلك المعطيات القائمة اليوم قد يظهر عكسها غدًا أو بعد غد، وبالتالي يصبح محتوى القرآن وأقوال الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– عرضة للنقد.

لأنّ ما حواه القرآن من مشاهد في الكون هو من باب تأكيد قوة الله وقدرته في الكون لهداية الناس إلى الإيمان، وليس لتقرير الحقائق العلمية فقط.

5. 2. الاعتماد على السنة الصحيحة، دون الضعيفة:

فإنّ الأحاديث التي لم تثبت صحّتها لا يمكن التعويل عليها لا في استنباط الأحكام، ولا في تقديم إشارات علمية في موضوع الإعجاز، وذلك أنّ الحديث الضعيف لا تثبت نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلّم لما فيه من احتمال الخطأ، أو الكذب، أو التدليس، أو نحو ذلك من آفات التحديث.

ولا ينبغي للداعية أن ينشغل بإثبات الإعجاز على حساب قواعد صحة الحديث، فإنّ ذلك ممّا يخالف القواعد المعروفة في العلوم الشرعية.

3.5.الابتعاد عن تفسير القرآن الكريم وأقوال الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– بالنظريات الافتراضية:

هذه النظريات مهما بلغ بريقها وأخذت حظًّا وافراً من النشر والدعاية الإعلامية، فالنظريات غير المحققة يظهر عكسها في المستقبل، وبالتالي يصبح محتوى القرآن الكريم وأقوال الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– عرضة للنقد، ولتأييد الهجوم العدائي الزّاعم أنّ الدّين القائم عليها لا يصلح من الوجهة العدائية.

4.5.عدم توظيف سوى الحقائق العلمية الثابتة التي حسمها العلم:

إنّ القرآن الكريم والسنة ليسا كتابي علم تجريبي، بمعنى أنهما يحتويان على تفاصيل الدقائق العلمية، فذلك يتنافى مع الهدف من رسالتهما، وهو الحرص على هداية البشر، والأخذ بأيدي الناس إلى طريق الحق من خلال ما شرع الله تعالى عبر اختلاف الزمان والمكان، ومع تفاوت إدراكات العقول وأنماط الحياة من البداوة إلى الحضارة. وكذا الحرص بما تشتمل عليه هذه الرسالة من مناهج تقود إلى تهذيب النفس، وضبط غرائزها وشهواتها، في ضوء عقيدة صحيحة تتفق مع مطالب العقول، وحاجات القلوب، لتوجد الإنسان الصالح والمجتمع الصالح.

5.5.الإلمام باللغة العربية ودلالة مفرداتها:

«ضرورة الإلمام بقواعد اللغة العربية، ودلالتها، وقواعدها، وأساليب التعبير فيها، وكذا الإلمام بأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وبالمأثور من تفسير الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–، وبجهود الصّحابة والتابعين وكبار المفسّرين في كلّ آية يتعرّض لها الدّارس

لإثبات جانب من جوانب الإعجاز العلمي فيها، أو لإثبات ذلك في حديث صحيح من أحاديث الرسول –صلّى الله عليه وسلّم–»[1].

6.5.الإشارات العلمية سبيل للهداية الإسلامية:

«لا يجوز عقد سباق بين إشارات ومدلولات الأحاديث النبوية، وبين الكشوف العلمية الحديثة؛ لأنّنا بذلك نزج بسنة الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم– في تفصيلات ليست من أهدافها الرئيسية، فالرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– بعث لهداية البشر جميعهم، ولم يبعث ليعلم الناس قوانين الطفو ودوران الأفلاك وانشطار الذرة وغيرها؛ كما يجب أن تكون المعرفة بالحقيقة العلمية الواردة في الأحاديث النبوية لم تأت لمجرد السرد العلمي، وإنما جاءت للاستدلال بها على حقيقة غيبية، كوجود الله أو بيان قدرته في خلقه»[2].

إذن من خلال هذه الأسس السابق ذكرها، والواجب مراعاتها عند تناول الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية، يجب أن يعلم أنّ الإسلام غير ضعيف في مبادئه ومناهجه حتى يحتاج إلى التعسف في التأويل، ليكسب صداقة العلم في تزكيته، وإنّما العلم محتاجٌ إلى نصوص الإسلام حتّى يتأدّب العلماء مع الله تعالى، الذي علّم الإنسان كلّ هذه العلوم، وأوقفه بفضله عزّوجلّ على هذه الكشوف العظيمة، وساعة أن يتمرّد العلماء على الله لن يضرّوا إلاّ أنفسهم، والإسلام هو دين الله الخاتم، آمن النّاس به أم كفروا؛ وعلى علماء المسلمين فقط أن يُحسنوا عرض الإسلام، مع بيان مناهجه العظيمة في الهداية والإصلاح في شتّى المجالات، وحينئذٍ سيقف النّاس على عظمة هذا الدّين، الذي يُعدّ كلُّ شيء فيه إعجازاً باهراً، فالإسلام قضيةٌ عادلةٌ لكنّه يحتاج على الدوام إلى الدعاة المهرة، الذين يحسنون عرض حججه، وتفصيل أدلّته، عرضًا وتفصيلاً يجمع بين النّص والرّوح، حتّى يقتنع به العقل، ويطمئنّ إليه القلب، ويستحقّ القائمون على الدّعوة إليه أن يكونوا بحق ورثة الأنبياء.

6. الإعجاز العلمي في القرآن بين غياب فعل القراءة ومفهوم المواءمة:

إنّ الألفاظ القرآنية ليست كباقي الألفاظ، إذْ هي مستودَعاتٌ علميةٌ ثابتةٌ في هذا العصر، وقد تفطّن علماء الإسلام إلى حقيقة الدعوة القرآنية إلى القراءة والعلم، وإمعان النظر والفكر في آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، التي تدعو إلى تدبّرها وإمعان النظر فيها، ودراسة سنن الفطرة وتسخير الاكتشافات، وبهذا يصبح فعل القراءة الجادّة لآيات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم من أهمّ العوامل الإيمانية التي تولّد الرغبة لدى المسلمين في الإقدام على الدخول في مجالات البحوث والدّراسات والاكتشافات الكونية، وإن كانت هذه الحقائق العلمية بناءً عضويًا، إلاّ أنّها موافقة ومواءمة لألفاظ القرآن الكريم.

إنّ الكثير من الباحثين لا يهتمّون بجانب اللّفظ القرآني عندما يتناولون مسألة الإعجاز، ويقتصر ذكرهم على الآية فقط، مع أنّ القراءة في جانب الكتاب المسطور نجد نظم آيات القرآن تعبّر عن تلك الحقائق العلمية، فهي بناءٌ خاصٌّ في جميع المستويات الصوتية والنسقية والمفاهمية، وتعدّ هذه عقبة من عقبات الكشف عن إشارات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، والمتمثلة في غياب فعل القراءة ومفهوم المواءمة، وهنا وجب النظر في هذا البناء كأنّه وحدة متكاملة، فلا تتمّ القراءة في آيات الإعجاز العلمي دون أن تدبّر لغته.

---

(1) مجلّة الوعي الإسلامي، العدد 424، ذي الحجة 1421هـ/ مارس 2002، الكويت، ص16.

(2) ينظر: كارم السيد غنيم، الإشارات العلمية في الأحاديث النبوية، ط1، 1427هـ-2005م، ص159-160.

فالترابط بين كتاب الله المقروء (القرآن الكريم)، وكتاب الله المنظور (الكون الفسيح) ترابطٌ وثيقٌ، لأنّ مصدرها واحد، وهو الله تعالى، فقد تعبّدنا الله تعالى بتلاوة القرآن كما تعبّدنا بالنظر في الكون، وهذا الترابط بين القرآن والكون، جعل المسلمين يجدّون في كشف أسرار الكون، وفي خدمة الإنسانية كلّها.

يقول بوكاي: «إنّ الإسلام ينظر إلى العلم والدّين كتوأمين، وإنّ تهذيب العلم كان جزءًا من التوجيهات الدينية منذ البداية، وإنّ تطبيق هذه القاعدة أدّى إلى التقدّم العلميّ العجيب في عصر الحضارة الإسلامية العظمى التي استفاد منها الغرب قبل نهضته»[1].

ففي الماضي كان علماء المسلون الذين أتقنوا العلوم التجريبية بأنواعها على قدر كبير من علوم الدّين والتفقّه به، وقد حثّوا النّاس على تعلّم العلوم التجريبية، لأنّها تزيد المؤمن إيماناً، وتحمله على الإذعان بالبرهان، لأنّ التبحّر في هذا الكون الفسيح ومخلوقاته يدّل على عظمة صانعه، وقوّته وإتقانه في خلقه، فيزداد الإنسان بها إيمانا، فهذه العلوم ما هي إلاّ آياتٌ ناطقة، وبراهين واضحة على وجود الله سبحانه وتعالى، وكمال صفاته، ومن هنا نرى أنّ الدّين والعلم يسيران جنبا إلى جنب، فالدّين يرشد بالأدلة إلى مواطن الهداية، وإلى معرفة الله تعالى وسلوك المنهج الإلهي الذي رسمه الله لخير وإسعاد الإنسان في حياته الدنيا والآخرة.

جاء في كتاب «الإسلام في قفص الاتهام» شوقي أبو خليل، حيث يقول: «ولو أردنا أن نعدّد كلّ شيء عن دعوة الإسلام إلى الله بأنواعه؛ لطال بنا الحديث، وحسب الإسلام فخرا في مجال طلب العلم، أنّه يعتبر الأمّة كلّها آثمة إذ لم يتوفّر العلماء في شتّى التخصّصات»[2].

فإذا كان في القرآن ما يزيد عن 6000 آية، فإنّ 500 آية فقط تتكلّم عن الأحكام، بينما يقارب 4000 آية تدعو إلى إعمال العقل، وطلب العلم والمعرفة، وإلى استنباط الحقائق العلمية.

7. الإعجاز وأثره في الهداية إلى الإسلام:

إنّ القرآن الكريم يدعو في كثير من المواضع إلى النظر والتأمل والتفكّر والتدبّر وإعمال العقل، فبه تتجلّى الحقائق، وإنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ هداية الإسلام تبهر العقول والقلوب معا.

وقد بيّن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كثيرا من الاكتشافات والحقائق العلمية، والتي تبرهن بصدق على أنّ هذا الهدي جاء به رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– عن طريق الوحي الإلهي، وأنّ هؤلاء الذين دخلوا الإسلام بسبب الإعجاز لم يدفعهم إلى الدخول لا مال ولا شهرة، فهم ليسوا بحاجة إلى المال أو الشهرة، فضلا عن عقولهم أيضا التي لم يكن بها خلل، ولم يكرهم على الإسلام أحد، ولكن الذي أثّر فيهم عقديا ما لمسوه من صدق الاشارات التي تحملها بعض آيات القرآن وأحاديث الرسول –صلّى الله عليه وسلّم–، ممّا يثبت صدق النبوة لرسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، وصحة نزول الوحي عليه.

«وقد منّ الله عزّوجلّ ببحوث الإعجاز العلمي في العلوم الطبيّة وغيرها، فصحّحت كثيراً من المفاهيم، وكشفت العديد من الحقائق، وحَلَّتْ جملةً من الإشكالات في المجال الطبي وغيره»[3].

وللتأكيد على هذا، لا بدّ أن نسوق أهم الأمثلة في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وهذه بعض النماذج لمن أكرمهم الله بالإسلام.

---

(1) بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، دار الكندي، بيروت، ط1، 1978م، ص14.

(2) شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، دار الفكر، دمشق، 1992، ص213.

(3) نعمان صالح، دور الوحي في تطوّر الطبّ وأثره في علوم الوحي، أبحاث الإعجاز العلمي نموذجا، مجلة المعيار، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2020، ص1.

1.7. العالم «كيث مور Kith moore» ومراحل خلق الإنسان:

إنّ النفس البشرية مجالٌ خصبٌ، وواسعٌ للتأمّل وإعمال العقل في إعجاز خلقها وتسويتها، وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تتكلّم عن الإنسان، كيف لا وهو المعني بالاستخلاف والمأمور بالتكاليف؟ قال الله عزّ وجلّ: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)** [سورة المؤمنون: 14].

فهذه الآيات تبيّن الخلق الإنشائي في نشأته الجنينية، وتصف مراحل هذه النشأة وصفًا دقيقًا، وقد تجلّت معاني هذه الآيات في العصر الحديث، أين كُشف الستار عن أسرار هذه الإشارات العلمية التي أخبر عنها القرآن بدقّة متناهية، حيث جاء في كتاب الإعجاز العلمي في السنة النبوية زغلول النجار: «إنّ هذه الحقائق العلمية التي تقع في علم الأجنّة في الصّميم، والتي لم تعرف مبادئها الأولية إلاّ في نهايات القرن الثامن عشر ميلادي، واستغرقت أكثر من قرنين من الزمن، حيث تستقرّ في وجدان علم الأجنة، تحدّث عنها خاتم الأنبياء –صلّى الله عليه وسلّم– بهذه الدّقة العلمية، والإحاطة الشمولية منذ مطلع القرن السابع ميلادي، أي قبل أن يصل إليها العلم المكتسب بأكثر من عشرة قرون كاملة»[1].

وهذه الظاهرة الخلقية العجيبة أدهشت علماء التشريح في هذا العصر، للتوافق الدقيق بين المعطيات التي اكتشفوها مع الوصف الذي وصفه القرآن الكريم، فكان من ثمار ذلك إسلام واحد من أبرز العلماء المعاصرين في مجال علم التشريح والأجنة العالم البروفسيور «كيث مور Kith moore»، حيث ألّف العديد من الكتب التي ترجمت إلى ثمان لغات، وأصبحت مرجعا لكلّيات الطبّ، وقد عقد حلقات في التلفزيون الكندي يشرح فيها مراحل الخلق طبقا للآيات والأحاديث النبوية، وأصبح مستشارًا علميًّا لهيئة الإعجاز العلمي، الذي قدّم فيه محاضرة شهيرة عنوانها: «مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة»، حيث يقول «كيث مور Kith moore»: «لقد أسعدني جدًّا أن أشارك في توضيح هذه الآيات والأحاديث الشريفة، ويتّضح لي أنّ هذه الأدلّة لم تُكتشف إلاّ حديثا، وبعد قرون عدّة، وهذا أثبت لي أنّ محمّداً رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–».

وقد ازدادت دهشته عندما عُرضت عليه الآيات والأحاديث المتعلّقة بخلق الإنسان، وكيف يكون لمحمّد –صلّى الله عليه وسلّم– قبل 1400عام أن يصف الجنين وأطواره هذا الوصف الدقيق الذي لم يتمكّن العلماء من معرفته إلاّ منذ ثلاثين عاما، وسرعان ما تحوّلت دهشته إلى إعجاب بهذا البيان وهذا الهدي.

وبعد حوار طويل وبحث متواصل عن الحقيقة اقتنع وأعلن إسلامه[2].

فسبحان ربّي ما أعظمك، تقلّب القلوب وتهدي من تشاء من عبادك إلى الصراط المستقيم.

2.7. العالم «جاك إيف كوستو Jacques-Yves Cousteau» وعلم البحار:

قال الله تعالى: **(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)** [النمل: 61].

وقوله أيضا: **(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ)** [الرحمن: 19-20].

---

(1) زغلول راغب محمد النجار، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، دار النهضة، مصر، 2012م، ص207.

(2) ينظر: نادي درويش محمد، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وصلته بمنهج الدعوة الإسلامية، مكتبة الجامعة الأزهرية، القاهرة، ط1، 2011م، ص135-138.

وقوله تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا**) [الفرقان: 53].

تتكلّم هذه الآيات عن قدرة الله عزّ وجلّ في وجود نوعين من البحار، متجاوران متلاصقان، لا يتمازجان، أحدهما شديد العذوبة، قاطعٌ للعطش من فرط عذوبته، والآخر بليغ الملوحة، وجعل بينهما برزخا، أي حاجزا لكيلا يغلب أحدهما على الآخر.

حيث جاء في تفسير الطاهر بن عاشور قوله: «والمرج: الخلط. واستُعير هنا لشدّة المجاورة ... والبحر: الماء المستبحر، أي الكثير العظيم. والعذب: الحلو. والفرات: شديد الحلاوة. والملح -بكسر الميم- وصفٌ به، بمعنى المالح، ولا يقال في الفصيح إلاّ: مِلْح، وأمّا مالح فقليل. وأريدَ هنا: ملتقى ماء نهري الفرات والدجلة، مع ماء بحر خليج العجم. والبرزخ: الحائل بين شيئين. والمراد بالبرزخ تشبيهُ ما في تركيب الماء المِلْح ممّا يدفع تخلّل الماء العذب فيه، بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر، ويبقى كلاهما حافظًا لطعمه عند المصبّ»[1].

ففي هذه الآيات؛ إعجازٌ علميٌّ كبير، حيث تتحدّث هذه الآيات عن ظاهرة نوعين من البحار، أحدهما مِلْحٌ أجاج، والآخر عَذْبٌ فرات، وأنهما يتجاوران لكنهما لا يمتزجان، وذلك لوجود حاجز أو برزخ يمنعهما من أن يغلب أحدهما على الآخر، وهما مختلفان من حيث الملوحة والكثافة والكائنات الحيّة، وهذا سرٌّ من أسرار الله عزّوجلّ في البحار، ومظهر من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى.

والمعروف أنّ المياه إذا اختلط بعضها ببعض، يفقد كلّ نوع خصائصه وكثافته ودرجة ملوحته، فالعذب يصبح أكثر ملوحة، والمالح تقلّ ملوحته، لاختلاطه بالماء العذب، ولكن «أكدّت الأبحاث العلمية أنّ ما أدهش العلماء هو احتفاظ الماء العذب بعذوبته داخل المياه العذبة، والمعروف أيضا أنّه في مستوى أعلى من البحار والمحيطات، ولا يصحّ القول بالعكس، فإمّا أن يصبّ النّهر في البحار، أو أن يصبّ في محيط، والأغرب من ذلك كلّه؛ هو أنّ الكائنات التي تعيش في المحيط أو تمتزج بها، رغم أنّ كلا منهما كائن حيّ مائي، لا تختلط، مثلما لا تختلط ولا يتداخل ولا يمتزج هذا الماء في ذلك»[2].

«وفي عام 1873 كانت رحلة **تشانلجر** التي طافت حول البحار مدة ثلاثة أعوام ... هذه الباخرة هي أول هيئة علمية بيّنت أنّ المحيط الأطلنطي مثلا، لا يتكوّن من حيث الكثافة والملوحة والحرارة والأحياء المائية وقابلية ذوبان الأكسجين»[3].

ولقد أدهشت هذه الظاهرة الكونية أحد علماء البحار، وكانت سببا في دخوله الإسلام، وهو الفرنسي «**جاك إيف كوستو jacque yves cowsteau**»، فعبّر عن ذلك بقوله: «عندما كنّا ندرس الظاهرة التي اكتشفها العلماء، وهي أنّ هناك حاجز يفصل بين الكتل البحرية المختلفة، وتظلّ كما هي بخصائصها وأجيالها المائية، دون أن يختلط بعضها ببعض، والمعروف أنه بخاصية الانتشار، كان على المواد الأكثر تركيزا أن تنتشر إلى الوسط الأقل تركيزا، فتكون جميعها متساوية في تركيبها وكثافتها ودرجة ملوحتها، ويصبح الماء كلّه متجانسا، ولكن هذا لم يحدث، وقد وجدوا هذا الحاجز بين كلّ بحر وبحر، ونهر وبحر، ونهر وآخر، وهذا الشيء محيّر فعلا».

وعندما قيل له: إنّ هذا ليس بجديد، فهذا الحاجز مذكور في القرآن منذ أربعة عشر قرناً، قال: أشهد أنّ القرآن من عند الله، ثم أشهر إسلامه[4].

---

(1) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، ج19، ص18.

(2) ينظر: السيّد الجميلي، الإعجاز الكوني في القرآن، دار زاهد القدسي، ط1، 1988م، ص82.

(3) الزنداني، العلاج في الإسلام، مكتبة القرآن، القاهرة، 1999م، ص32.

(4) ينظر: سليمان عمر قوش، الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم، دار الثقافة، الدوحة، ط2، 1995م، ص175.

3.7. العالم «داود موسى بيدكوك David Musa Pidcock» وظاهرة انشقاق القمر:

قال الله تعالى: (**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ**) [القمر: 1-3].

في هذا النموذج نبيّن أهمية الجانب اللغوي، ومدى مواءمته للظاهرة العلمية، فالله سبحانه وتعالى يخبرنا في هاته الآية باقتراب الساعة، وفراغ الدنيا وانقضائها، وأنّ الأجرام العلوية يختلّ نظامها[1]، حيث رُوي أنّ الكفّار سألوا رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- آية، فانشقّ القمر. قال ابن عبّاس -رضي الله عنهما-: (انفلق فلقتين، فلقة ذهبت، وفلقة بقيت)، وقال ابن مسعود: (رأيت حراء بين فلقتي القمر)[2].

والشيء المبهر أنّ لغة القرآن الكريم أخبرت عن هذا الحدث بدقة كبيرة خارقة، كما أشار النبي -صلّى الله عليه وسلّم- إلى قضايا عقدية هائلة، بوصف دقيق عجيب، رغم انتفاء الوسائل العلمية التي تثبت ذلك، ولقد أدهشت هاته الظاهرة الكونية العلماء البريطانيين، منهم رئيس الحزب الاسلامي «داود موسى بيتكوك»، وكانت سببا في دخوله الإسلام، فعبّر عن ذلك بقوله: (أجلسني ربّي أمام التلفاز البريطاني، حيث دار حوار بين معلّق بريطاني وثلاثة من علماء الفضاء الأمريكيين، فكان الحوار حول رحلة إنزال رجل على سطح القمر، باعتبار أنها أكثر رحلات الفضاء كلفة، وذلك من أجل وضع العلم الأمريكي فوق سطح القمر، حيث قالوا: درسنا التركيب الداخلي للقمر حقيقة، فوجدنا حقيقة لو أنفقنا أضعاف هذا المال لإقناع الناس بها ما صدّقنا أحد، فقال لهم: ما هذه الحقيقة؟ قالوا: هذا القمر انشقّ في يوم من الأيام ثم التحم، قال لهم: كيف عرفتم ذلك؟ قالوا: وجدنا حزاما من الصخور المتحوّلة يقطع القمر من سطحه إلى جوفه، إلى سطحه، فاستشرنا علماء الأرض وعلماء الجيولوجيا فقالوا: لا يمكن أن يكون هذا قد حدث، إلاّ إذا كان القمر قد انشقّ ثم التحم ...)[3].

يقول داود موسى بيتكوك: (فقفزتُ من الكرسي الذي أجلس عليه وقلت: معجزة تحدث لمحمد صلّى الله عليه وسلّم قبل ألف وأربعمائة سنة، سخّر الله الأمريكان لينفقوا أكثر من مئة ألف مليون دولار لإثباتها للمسلمين؟ لا بدّ أن يكون هذا الدّين حقًّا).

يقول: (فعدتُ إلى المصحف، وتلوتُ سورة القمر، وكانت مدخلي لقبول الإسلام دينا)[4].

فسبحانك ربي ما أعظمك، تقلّب القلوب وتهدي من تشاء.

4.7. العالم «ثاجاتات تاجسون Thagatet Tagecon» وظاهرة الإحساس بالألم:

قال الله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**) [النساء: 56].

---

(1) ينظر: المراغي، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1946م، ج27، ص75.

(2) أبو السعود العمادي بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج8، ص167.

(3) ينظر: زغلول النجار، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار النهضة، مصر، ط5، ص248.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص250.

قال الطبري في تفسيره لهذه الآية: «(**سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا**)، يقول: سوف ننضجهم في نارٍ يُصلَون فيها، أي: يُشْوَوْن فيها. (**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم**)، يقول: كلّما انشوت بها جلودهم فاحترقت. (**بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا**)، يعني: غير الجلود التي قد نضجت فانشوت»[1].

وهذا يعني أنّه تُبدَّل الجلود جلودًا أخرى، «فهذا التبديل دليلٌ على زيادة في عذاب النفوس، ويدّل عليه قوله تعالى: (**لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**)»[2]. وهذا من شدّة كذبهم في الدّنيا بآيات الله والجحود بها، فالله سبحانه وتعالى «يبيّن لنا أنّ الجلد هو محلّ العذاب، فربط جلّ وعلا بين الجلد والإحساس بالألم، ليبيّن لنا أنّ الجلد وسيلة إحساس الكافرين بعذاب النّار، وأنّه حينما ينضج الجلد ويحترق ويفقد تركيبه ووظيفته، ويتلاشى الإحساس بألم العذاب يستبدل بجلد جديد، مكتمل التركيب، تام الوظيفة، لتقوم فيه النهايات العصبية المتخصّصة بالإحساس بالحرارة وآلام الحريق بأداء دورها ومهمتها من جديد، لتجعل هذا الإنسان الكافر بآيات الله تعالى يذوق عذاب الاحتراق بالنّار»[3].

فعِلْم التشريح اكتشف حديثًا أنّ النهايات العصبية المتخصّصة في الإحساس بالحرارة وآلام الحريق لا توجد بكثافة إلّا في الجلد، «فالحروق الأشدّ ألماً هي حروق الدرجة الأولى، والثانية هي التي تصيب طبقات الجلد دون أن تتلفها نهائيا، أمّا حروق الدرجة الثالثة التي تخرق الجلد وتميته وتصل إلى العضلات والعظام، فألمها وقتي يكون حين الإصابة فقط»[4].

فما كان بوسع أحد من البشر قبل اختراع المجهر وتقدّم علم التشريح الدقيق أن يعرف هذه الحقيقة التي أشار إليها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً، وعلم التشريح لم يُكتَشَف إلّا في القرن العشرين.

هذه الظاهرة الخلقية أدهشت علماء التشريح، فكان من ثمار ذلك إسلام واحد من أبرز علماء الطبّ، وهو «ثاجاتات تاجسون»، وهو رئيس قسم التشريح والأجنة في جامعة «شاينج ماي بتايلاند»، حيث دار حوارٌ بينه وبين عبد المجيد الزنداني حول هذه الظاهرة الخلقية العجيبة حيث قال: «يهمّك أن تعرف أنّه في هذا الكتاب المقدّس إشارة منذ ألف وأربعمائة سنة إلى عقاب الكافرين بعذاب النار في جهنّم، عندما ينضج الجلد يخلق الله جلودًا أخرى حتى يذوقوا العقاب بالنّار، ممّا يشير إلى حقيقة أطراف الأعصاب في الجلد، فهل توافق على أنّ هذه الإشارة إلى أهمية أطراف الأعصاب في الجلد بالنسبة إلى الإحساس منذ ألف وأربعمائة سنة؟». ثم أجاب «ثاجاتات» نعم أوافق على أنّ هذه معروفة عن الإحساس منذ زمن طويل.

وبعد حوار طويل وأبحاث متواصلة عن الحقيقة؛ اقتنع أنّ هذا القرآن ليس من مصدر بشري، وعند انعقاد المؤتمر الطبي الثامن الذي عقدته السعودية في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة سنة 1400هـ، أعلن «ثاجاتات» إسلامه قائلا: «إنّني أؤمن أنّ كل شيء ذُكر في القرآن منذ ألف وأربعمائة سنة؛ لا بدّ أن يكون صحيحا، ويمكن إثباته بالوسائل العلمية، وحيث أنّ النبي –صلّى الله عليه وسلّم– لم يكن يستطيع القراءة والكتابة فلابدّ أنّ محمّداً –صلّى الله عليه وسلّم– رسولٌ جاء بهذه الحقيقة، لقد بعث عن طريق الوحي من خالق عليم بكلّ الأمور، هو الله، ولذا فإنّني أعتقد أنّه حان الوقت لأن أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله»[5].

---

(1) أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م، ج5، ص142-143.

(2) أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006، ج6، ص420.

(3) ينظر: سالم عبد الله المحمود، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الإحساس بالألم بين الطبّ والقرآن، المؤسّسة العالمية للثقافة والعلوم، ص35-36.

(4) عدنان الشريف، من علم الطبّ النبويّ، دار العلم للملايين، ط5، 2001، ص307.

(5) ينظر: نادي درويش محمد، الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة وصلته بمنهج الدعوة، ص138.

فهؤلاء العلماء لم يقتنعوا بحقائق القرآن والاهتداء إلى الإسلام فحسب، بل إنّهم سخّروا أبحاثهم في خدمة الدّين والدعوة إليه، مثال ذلك موريس بوكاي الذي ألقى محاضرة في أكاديمية العلوم بباريس، والتي تعتبر أعلى مرجع علمي في فرنسا، أشار فيها إلى الجوانب الإعجازية لعلم الجنين القرآني، وكان يحرص على توجيه الأطباء إلى إدراج المعاني الإعجازية في كتبهم، كما له حقائق مدهشة وإشادات عظيمة لكتاب الله.

فبفضل الله تجدّد أسلوب الدعوة ومنهاجها، واتخذوا من الإعجاز العلمي وسيلة دعوية في هذا العصر.

8. تجارب هيئات ودعاة وظف أصحابها الإعجاز العلمي كأسلوب في دعوتهم:

8. 1. الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة:

تأسّست على يد مجموعة من العلماء أبرزهم: عبد المجيد الزنداني، وعبد الله بن عمر نصيف، ومحمد بن علي البار، وحسن عبد القادر باحفظ الله، وغيرهم، سنة 1400هـ، ثم أصبحت ملحقة بإدارة أبحاث القرآن الكريم التابعة للمجلس الأعلى العالمي للمساجد، التابع بدوره لرابطة العالم الإسلامي.

قامت الهيئة بجهود دعوية في بلدان كثيرة، أبرز تلك الجهود الدعوية ما يلي:

- **المؤتمرات والندوات والمحاضرات:**

ومنها:

- المؤتمر العالمي الأول عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بإسلام آباد (باكستان)، سنة 1408هـ- 1987م، وهو أول مؤتمر علمي شامل، اجتمعت فيه تخصصات علمية متعددة، كالأرصاد والأجنة والبحار والفلك وغيرها.
- مؤتمر القاهرة للإعجاز الطبي في القرآن والسنة بالاشتراك مع الأزهر ونقابة الأطباء، سنة 1409هـ-1988م.
- مؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدكار في السنغال، سنة 1412هـ- 1991م.
- المؤتمر العالمي عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بموسكو (روسيا)، سنة 1414هـ-1993م.
- المؤتمر العالمي عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بإندونيسيا، سنة 1415هـ-1994م.
- المؤتمر السادس لهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ببيروت (لبنان)، سنة 1421هـ.

كما عقدت الكثير من الندوات والمحاضرات التي نشّطها مختصّون وباحثون في المجال، ناهيك بالمعارض الدعوية.

- **البحوث والإصدارات:**

أصدرت هذه الهيئة عددًا من الكتب من أهمّها: **مجلة الإعجاز العلمي**، وهي مجلة فصلية، تصدر كل أربعة أشهر، صدر العدد الأول منها سنة 1416هـ، وهي الآن في عددها الرابع عشر.

ولهذه الهيئة فروع في مصر، وأمريكا، وروسيا، وأندونيسيا، وتركيا.

وللتعرف أكثر على منجزات الهيئة ينظر الموقع الالكتروني: https://www.eajaz.org

8. 2. جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بجمهورية مصر العربية:

تأسست سنة 1988م، برئاسة كارم السيد غنيم، وتتكون من لجان عدة هي: اللجنة الدينية، اللجنة الطبية والصيدلية، لجنة الفيزياء والفلك والبيئة والهندسة، لجنة العلوم الزراعية، لجنة العلوم الإنسانية، لجنة المنهج والقاموس العلمي الإسلامي، بالإضافة إلى اللجنة الثقافية، واللجنة التنفيذية، ولجنة الدعوة والإعلام، ولجنة الترجمة والنشر، ولجنة التوثيق، ولجنة الاتصالات الخارجية، ولجنة التخطيط.
أقامت عشرات المحاضرات والندوات منذ تأسيسها عام 1989م حتى عصرنا الحاضر، كما قامت بإصدار سلسلة علمية بلغت سبعة أعداد، أسمتها: (سلسلة كتاب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة).
كما قامت الجمعية بإجراء مسابقات علمية سنوية في الإعجاز العلمي، بدأت في تلك المسابقات عام 1419هـ-1998م.

8. 3. المركز العالمي لأبحاث الإيمان في السودان:

نشأ هذا المركز باقتراح من الشيخ عبد المجيد بن عزيز الزنداني في عام 1411هـ، وأعلن نائب رئيس مجلس الوزراء الزبير محمد صالح على موافقة الدولة على إنشائه ومنحه كل التسهيلات اللازمة.
وقد أقام المركز عدة ملتقيات، أبرزها:
الملتقى الأول لتوحيد جهود هيئات الإعجاز العلمي، سنة 1422هـ، شارك فيه المركز العالمي لأبحاث الإيمان، ومعهد السودان للعلوم الطبيعية، ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ومعهد إسلامية المعرفة، ورابطة العالم الإسلامي ممثلة في هيئة الإعجاز العلمي[1].

8. 4. عبد المجيد الزنداني:

وهو من أوائل الدعاة المعاصرين المهتمّين بتوظيف الإعجاز العلمي في الدعوة إلى الله تعالى، وهو مؤسّس هيئة الإعجاز العلمي في مكّة المكرمة، كما أنه مقترح إنشاء مركز أبحاث الإيمان بالسودان. وقد حاور عددًا كبيرًا من العلماء الغربيين، منهم من أسلم، ومنهم من تأثّر عند سماع الحق.
ومن جهود الشيخ الزنداني في الدعوة إلى الله تعالى بالإعجاز العلمي ما يلي:
المشاركة في ثلاث مؤتمرات طبية بأبحاث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
الإسهام بشكل أساسي في إقامة المؤتمر العالمي الأول عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة 1408هـ.
إضافة إسلامية لكتاب علم الأجنة «The Developing Haman» لمؤلفه الدكتور كيث مور رئيس قسم التشريح بجامعة تورنتور كندا، وبلغت هذه الإضافة ما يقارب سبعين صفحة، وأضيف اسم الشيخ الزنداني في صدر الكتاب وغلافه بموافقة المؤلف نفسه.
كتب العديد من الأبحاث والكتب في مجال الإعجاز العلمي، منها:

- تأصيل موضوع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- ضوابط الكتابة في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- موقف الأديان وموقف الإسلام من العلم.
- آفاق جديدة من الكتاب والسنة لاكتشاف أسرار الكون.

---

(1) انظر: الدعوة إلى الله تعالى بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة: دراسة تقويمية، رسالة الماجستير، محمد بن إبراهيم الزهراني، 1424هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود، ص: 60 وما بعدها.

- إحصاء الآيات القرآنية المتعلقة بالعلوم الكونية.
- كيفية الانتفاع من الإعجاز العلمي في مجالات الدعوة.
- إحصاء الأحاديث النبوية المتعلقة بالعلوم الكونية.

ومن أبرز كتبه:

- المعجزة المتجددة في القرآن والسنة.
- مشاركته مع عدد من العلماء في تأليف كتاب علم الأجنة في القرآن والسنة.
- منطقة المصب والحواجز بين البحار في القرآن الكريم.
- طريق الإيمان واليوم الآخر وغيرها[1].

8. 5. زغلول النجار:

المتحصل على درجة دكتوراه الفلسفة في الجيولوجيا من جامعة ويلز ببريطانيا سنة 1963م، له أكثر من مئة وثلاثين بحثًا ومقالاً منشورًا، وله ستة كتب نشرت في المملكة العربية السعودية والكويت وبيروت وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

شارك في كثير من المؤتمرات، كما قام بجولات عالمية لنشر الدعوة الإسلامية سواء في أوروبا أو أمريكا. كما حاور وناظر حاخامات اليهود وقساوسة النصارى، ويعرض الإسلام أمام الغرب بأسلوب سهل ميسّر، يجذب الغربيين للإسلام، بل لا تكاد تقام له محاضرة حتّى يلتفّ حوله كثير من الغربيين يسألونه عن حقيقة هذا الدّين الإسلامي، وعن حقيقة ما يعتقده المسلمون تجاه نبيهم عيسى – عليه السلام–[2].

كتب الدكتور زغلول في مجال العلوم بصفة عامة، وفي مجال علوم الأرض بصفة خاصة، كما ألف في مجال الإعجاز العلمي والدراسات الإسلامية وأهم تلك المؤلفات:

– الإنسان والكون في الإسلام.
– ضرورة إعادة كتابة العلوم من وجهة النظر الإسلامية.
– قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر.
– الإسلام وتدريس العلوم.
– إسهام علماء المسلمين الأوائل في تطور علوم الأرض.
– من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.
– الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة.
– أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.
– المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم.

---

(1) انظر: الدور التاريخي الحضاري العلمي والجهادي للشيخ الزنداني وعلماء اليمن في مسيرة الإصلاح الشامل، صالح محمد اليافعي، ط1، 1412هـ/1992م، ص231-237.

(2) انظر: السيرة الذاتية لزغلول النّجار، هيئة الإعجاز العلمي بمكّة المكرّمة.

هذا بالإضافة إلى أكثر من مئة وخمسين بحثًا ومقالاً منشورًا، ومعظم مقالاته وبحوثه في هذا المجال تدور حول ربط العلم بالدين، وقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة[1].

وبعد إلقاء الدكتور زغلول النجار عشرات المحاضرات على الغربيين من غير المسلمين أسلم كثير منهم، ومن ذلك قرابة المئة أسرة جاءت لأداء فريضة الحج[2].

تحليل هذه الجهود:

هذه اللمحة المقتضبة جدا، على ما تبذله هيئات تتمتع بالصفة الرسمية والمؤسسية، وبإمكانات مادية وبشرية، وعلى ما يبذله بعض الدعاة، وقد اقتصرنا على ذكر أشهرهم فقط، والحقيقة أنهم بالعشرات، أو بالمئات، أقول: هذه الجهود تدلّ أنّ الخطاب الدعوي المرتكز على الإعجاز العلمي هو خطاب فعّال، وقد آتى أكله وثماره، ولذلك استثمرت فيه هذه الهيئات والمؤسسات، وأيضا فإن شهادات الدعاة الذين اشتغلوا في هذه المضمار صريحة بدخول عشرات الغربيين، لا سيما العلماء والمثقفين، في الإسلام، من أبواب التفسير العلمي، والحقائق العلمية التي جاء بها القرآن والسنة.

خاتمة:

إنّ سَوْق القرآن لحقائق علمية بهذه السعة والشمول، وبهذه الدقة المتناهية، يحمل كلّ صاحب عقل منصف إلى الإيمان بأنّ هذا تنزيل العزيز الحكيم الذي وسِع كلّ شيء علمًا، وأنّ البشرية عاجزة عن الإحاطة بكلّ هذه الحقائق، والوصول إلى كنهها وأسرارها، ولو مضى جيل بعد جيل من العلماء لفَكِّ أسرارها وألغازها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

فالإعجاز العلمي هو كتاب الله الخالد لكلّ زمان ومكان، وقد أصبح وسيلة دعوية ضرورية لا بدّ من تفعيلها، لماله من ثمار طيبة، تمثّلت في كثير ممّا أنعم الله عليهم بالإسلام ومن النتائج التي توصّلنا إليها:

1. الإعجاز العلمي اللّغوي هو أساس الاعجاز العلمي إذ لابدّ من مراعاة الجانب اللغوي لبيان الحقيقة العلمية للآية.
2. أثر الإعجاز العلمي على غير المسلمين متجسّد في المجال العقدي لهم، بحيث اعتنقوا الإسلام فشهدوا بوحدانية الله، ونبوة سيّدنا محمّد رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-.
3. الخطاب الدعوي له منهجٌ وحكمةٌ يحتاج دائمًا إلى التجديد، فهو وسيلة دعوية جديدة تتوافق مع متطلّبات العصر لما لها من ثمار نافعة.
4. الخطاب الدعوي المرتكز على الإعجاز العلمي خطاب فعّال، وقد آتى أكله وثماره، ويؤكد ذلك استثمار هيئات تتمتع بالصفة الرسمية والمؤسسية، وبإمكانات مادية وبشرية، فيه وفي تطويره، مع جهود الدعاة الفردية.

المراجع:

1. أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
2. أبو السعود العمادي بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(1) انظر: زغلول بن راغب النجار وأثره في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، بكر إسماعيل، مؤسّسة آلبابرس، ط1، 1423هـ/2002م، ص12–14.

(2) نفس المرجع، ص27.

3. أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م، ج5، ص142-143.
4. أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية: أصولها، وسائلها، أساليبها في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت.
5. أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006.
6. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1979م.
7. بكر إسماعيل، زغلول بن راغب النجار وأثره في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، مؤسّسة آلبابرس، ط1، 1423هـ/2002م.
8. بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، دار الكندي، بيروت، ط1، 1978م.
9. جمال الدّين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ط7.
10. زغلول راغب محمد النجار، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، دار النهضة، مصر، 2012م.
11. الزنداني، العلاج في الإسلام، مكتبة القرآن، القاهرة، 1999م.
12. الزهراني، محمد بن إبراهيم، الدعوة إلى الله تعالى بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة: دراسة تقويمية، رسالة الماجستير، 1424هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود.
13. سالم عبد الله المحمود، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الإحساس بالألم بين الطبّ والقرآن، المؤسّسة العالمية للثقافة والعلوم.
14. سليمان عمر قوش، الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم، دار الثقافة، الدوحة، ط2، 1995م.
15. السيّد الجميلي، الإعجاز الكوني في القرآن، دار زاهد القدسي، ط1، 1988م.
16. شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، دار الفكر، دمشق، 1992م.
17. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله، دار القلم، دمشق، ط1، 1996م.
18. عبد المجيد الزنداني، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المكتبة العصرية، صيدا.
19. عدنان الشريف، من علم الطبّ النبويّ، دار العلم للملايين، ط5، 2001، ص307.
20. علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ضبطه محمد عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب، القاهرة، 1411هـ.
21. فضل حسين عباس، إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، عمّان، 1991م.
22. كارم السيد غنيم، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق، دار الفكر العربي، ط1، 1995م.
23. مجلّة الوعي الإسلامي، العدد 424، ذي الحجة 1421هـ/ مارس 2002، الكويت.
24. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م.
25. المراغي، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1946م.
26. نادي درويش محمد، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وصلته بمنهج الدعوة الإسلامية، مكتبة الجامعة الأزهرية، القاهرة، ط1، 2011م.
27. نعمان صالح، دور الوحي في تطوّر الطبّ وأثره في علوم الوحي، أبحاث الإعجاز العلمي نموذجا، مجلة المعيار، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2020م.

28. اليافعي، صالح محمد، الدور التاريخي الحضاري العلمي والجهادي للشيخ الزنداني وعلماء اليمن في مسيرة الإصلاح الشامل، ط1، 1412هـ/1992م، ص231-237.
29. يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.